كلية : التربية القائم

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : نداء ثابت راضي

اسم المادة باللغة العربية : النثر الفني الحديث

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern Artistic Prose

اسم المحاضرة الثالثة باللغة العربية: محمد عبده

اسم المحاضرة الثالثة باللغة الإنكليزية: Muhammad Abduh

محتوى المحاضرة الثالثة

محمد عبده - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م

ولد محمد عبده في قرية على ضفاف الدلتا المصرية ، في عائلة تملك بعض الثراء والمكانة الاجتماعية ، لذلك استطاع أن يتعلم القراءة والكتابة على أيدي معلمين أحضروا لتعليمه في المنزل ، وحفظ على أيديهم القرآن الكريم وتعلم ركوب الخيل والفروسية. . وعندما بلغ الثالثة عشر من العمر سافر إلى طنطا للدراسة في الجامع الأحمدي، أحد مراكز الثقافة الدينية المهمة في مصر آنذاك ، لكنه لم يعد من ذلك شيئا بسبب عقم التعليم ، رجع إلى قريته وتزوج ، غير أن أباء طلب إليه أن يستأنف تعليمه ، فسافر بدلا من طنطا إلى أخوال أبيه حيث وجد بينهم شيخا متصوفا وهو الشيخ درويش ، ذا أفق فكري واسع وفهم صحيح للدين ، فأخذ يستمع إليه ويتلقى منه التوجيه والإرشاد حتى جعله أستاذه الأول.

لقد أثر فيه هذا الشيخ تأثيرا كبيرا وجعل منه شخصية جديدة ترى وتفهم الحياة بمنظار جديد ، حتى صار يحس إحساسا عميقا كان عليه رسالة في الحياة : أن يهدي الناس إلى الطريق المستقيم . قال محمد بن عبده في سيرته عن خاله هذا « لم أجد إماما يرشدني إلى ما وجهت إلى نفسي إلا ذاك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد وهو مفتاح سعادتي أن كانت لي سعادة في هذه الدنيا ، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي وكشف لي ما كان خفي علي مما أودع في فطرتي.

عاد محمد عبده إلى طنطا وبعد إتمام دروسه فيها التحق بالأزهر حيث أعجب بشيخ كان يدرس الفلسفة والمنطق هو الشيخ حسن الطويل .

في عام ١٨٧١ م زار مصر جمال الدين الأفغاني داعيا إلى نهضة الإسلام ومحاربة الاستعمار ، فالتف حوله محمد عبده واعجب اعجابا شديدا بأفكاره، وأخذ تحت تأثيره ينشر مقالات في جريدة « الاهرام » . وفي عام ١٨٧٧ م نال شهادة العالمية من الأزهر وأخذ يدرس في الأزهر و دار العلوم » و «مدرسة الألسن » ، واهتم في تدريسه بـ « مقدمة ابن خلدون » و « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه وكتاب غيزو ((تاريخ تمدن الممالك الأوربية)).

وحين اخرج الأفغاني من مصر على أثر دعواته الخطيرة وآرائه الجريئة ، أقيل محمد عبده من وظيفته بسب اتفاقه معه في الرأي ، لكن بعد حين ، يسند إليه تحرير « الوقائع المصرية » بوساطة أحد المسؤولين ، فينهض بها مع طائفة من تلاميذه ، إذ لم يقف بها عند تحرير الوقائع والأخبار الحكومية بل جعلها صحيفة ثقافية واصلاحية ، تمارس النقد وتدعو إلى الحرية والأعمال الخيرية وتطهير الاسلام من البدع والخرافات وقيام حكومة عادلة.

في هذه الأثناء تقوم ثورة أحمد عرابي فيعارضها محمد عبده في البداية، لأنه كان يكره أحمد عرابي ولا يراه مؤهلا ليكون زعيم أمة ، وفي الوقت ذاته كان يعتقد ان الأمة لا تزال غير قادرة على أن تحكم نفسها ، لكنه حين تدخل الأجانب لإخماد الثورة ، انظم إليها وراح يأخذ المواثيق ويحرر بيانات الثورة للشعب وللدول ، ويحض قومه للتجديد ويحمسهم للقتال ، غير أن الثورة تخفق فيسجن محمد عبده مئة يوم ثم ينفى إلى بيروت.

وفي بيروت يلتف حوله العلماء والأدباء ، ويدرس في المدرسة السلطانية ، إلا إن مقامه لا يطول فيها هذ يطلب إليه أستاذه جمال الدين الأفغاني أن يلحق به في باريس الإصدار مجلة « العروة الوثقى » فيلبي الدعوة ويحرر في المجلة مقالات تفيض ثورة وغضبا على أعداء مصر والعالم الإسلامي، ويرجع ثانية إلى بيروت بعد إغلاق المجلة ويكتب فيها بعض الكتب مثل رسالة التوحيد ، وشرح نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان، ويفسر القرآن تفسيرا جديدا من غير أن يتقيد بتفسير خاص.

يظل في بيروت ست سنوات ثم يعود إلى مصر بعد أن يعفى عنه بشفاعة صديقه «رياض باشا ، ولا يستطيع العودة إلى التدريس ولكنه يعين قاضيا ثم مستشارا في محكمة الاستئناف ويتعلم الفرنسية لفهم القوانين الأجنبية ويترجم منها بعض الكتب . كما يسعى إلى العمل للنهوض بالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية وهو ما يجعله يسالم المسؤولين، ويهادن الانكليز ويستعين بهم لتحقيق ما يريد مما يجعل الأفغاني يحنق عليه ويراه متنكرا لمبادئه . لكنه يظل متمسكا بسياسة التقرب من الانكليز والاستعانة بهم حتى آخر حياته .

ويعين مفتيا للديار المصرية في ١٨٩٩ م ويظل في هذه الوظيفة حتى وفاته سنة ١٩٠٥

آراؤه:

يعد محمد عبده أكبر مصلح ديني عرفته مصر والعالم العربي ، فقد سعى إلى نهضة الإسلام والمسلمين وتخليص الدين من الأوهام والخرافات وبحث فيه بحثا حرا مثل بحث المعتزلة القديم ، فباب الاجتهاد فيه لم يغلق ، ولا ضير أبدا في أن تبحث فيه وفي أصوله في ضوء الفكر الحديث . لقد أثبت في مقالاته وأبحاثه أن الإسلام دين عالمي وحي وان لا يتعارض مع المدنية الحديثة ، ورد ردودا قوية على بعض المفكرين من الأوربيين الذين هاجموا الإسلام واتهموه بأنه لا يتلاءم والعصر الحديث.

كان هدف محمد عبده في جميع أعماله وكتاباته من الثغرة القائمة في المجتمع الإسلامي، بغية تقوية جذوره الخلفية ، ولبلوغ هذا الهدف رسم طريقا واحدة هي عدم الرجوع إلى الماضي وإيقاف مجرى التطور الذي بدأ في مصر منذ حكم محمد علي بل الاعتراف الحاجة إلى التغيير ، وربط هذا التغيير بمبادئ الإسلام، وذلك بإثبات أن هذا التغيير ليس مما يجيزه الإسلام حسب ، بل إنما هو من مستلزماته الضرورية إذا ما فهم على حقيقته.

اثبت محمد عبده أن الإسلام ينطوي على الأسس العقلية والخلفية التي أراد الفلاسفة الأوربيون استنباطها من العلوم الحديثة وهو ما يجعل الإسلام يصبح أساسا للحياة الحديثة، وهو لم يقصد بتأكيده أن الإسلام صالح لان يكون الأساس الخلفي المجتمع حديث وتقدمي ، إلى القول بأن الإسلام يحبذ كل ما كان يعمل باسم التقدم، وبأن غاية العلماء الجدد هي مجرد إضفاء طابع شرعي على الأمر الواقع بل قصد إلى خلاف ذلك ، فالإسلام - كما فهمه - مبدأ ردع من شأنه أن يمكن المسلمين من التمييز بين الصالح والطالح من مختلف وجوه التغيير الحاصل ، لذلك كانت المهمة التي اضطلع بها ذات شقين : أولا إعادة ماهية الإسلام الحقيقي وثانيا النظر في مقتضياته بالنسبة إلى المجتمع الحديث . يقول محمد عبده في سيرته محددا هذين الهدفين - الأول تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى . و اعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني ، وأنه على هذا الوجه بعد صديقا للعلم باعثا على البحث في أسرار الكون ..... أما الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير....

مقالاته:

العل محمد عبده واحد من أهم رواد المقالة العربية الحديثة ، فقد كتب مجموعة كبيرة من المقالات ، ضمنها آراءه وتعاليمه في الدين والسياسة والاجتماع ومقالاته عموما مرت بمرحلتين:

أما المرحلة الأولى فتمثلها المقالات الأولى التي نشرها في - الأهرام - في ١٨٧٩ م وتتميز بغلبة السجع عليها ، وخلوها من الأفكار والنظرات العميقة بسبب ثقافته المحدودة في بداية حياته الثقافية، وفي الوقت ذاته تجده يقدم لموضوعاته في المقالات بمقدمات طويلة تجهد نفس القارئ . تلمح هذه الخصائص في هذه القطعة من مقالاته - لما انتشر نوع الإنسان في أقطار الأرض وبعد ما بينهم في الطول والعرض مع ما بينهم من المعاملات ومواثيق المعاقدات احتاجوا إلى التخاطب في شؤونهم مع ثنائي أمكنتهم وتباعد أوطانهم فكان لسان المرسل إذا ذاك لسان البريد ، وما يدرك هل حفظ ما يبدئ المرسل وما يعيد ، وإن حفظ هل يقدر على تأدية ما يريد بدون أن ينقص أو يزيد ، أو يبعد القريب أو يقرب البعيد ، فكم من رسول أعقبه سيف مسئول ، أو عنق مغلول أخر تخمد الأنفاس وتعمر الأرماس ومع ذلك كان خلاف المرام ، ورمية من غير رام . فالتجلوا إلى استعمال رقم الفلم ووكلوا الأمر إليه فيما به يتكلم..

وأما المرحلة الثانية فتمثلها المقالات التي كتبها بعد أن اكتملت ثقافته ونضجت شخصيته وزادت خبرته في مختلف المجالات إذ أخذ يطلع على الكتب العربية القديمة مثل كتاب - مقدمة ابن خلدون - الذي كان يدرسه في دار العلوم ، فوجد فيه وفي غيره من الكتب لغة سهلة لا تكلف فيها ولا تعقيد، ووجد الأسلوب نفسه في آثار الفكر الأوربي التي صار يقرؤها مترجمة ، وفيما بعد أخذ يقرؤها في لغاتها الأصلية حين تعلم الفرنسية . كما اتصل بجمال الدين الأفغاني فرأى عنده قدرة على تصريف المعاني وابتداع أفكار جديدة . لهذا كله تلخص أسلوبه من السجع وكل ضروب التكلف والتعقيد فغدا أسلوبا مرسلا وواضحا وصارت مقالاته تثرى فكريا فتعبر خبر تعبير عن مختلف المسائل الفكرية وتتلخص في الوقت عينه من المقدمات الطويلة التي وجدناها عنده في مقالات المرحلة الأولى.

وهو لم يكتف بذلك، بل أخذ يعمل على نشر هذا الأسلوب بين تلاميذه الذين كانوا يكتبون معه من أمثال سعد زغلول ، كما أخذ يشجع الصحف على احتدائه والضرب على قوالبه ، وفي الوقت نفسه كانوا ينتقد من يكتبون فيها ، ويطلب إلى أصحابها أن يختاروا من يحسن الكتابة بالأسلوب الجديد . وفتح في الوقائع صفحات أدبية واجتماعية وسياسية يكتب فيها هو وتلاميذه ، وكأنه يريد أن يضع بين الكتاب النموذج الأدبي الجديد الذي ينبغي أن يتوفروا عليه ... فتحريره الوقائع كان خطوة كبيرة في سبيل الرقي بلغة المخاطبات الحكومية وبلغة الصحافة فقد خرج بها من أسلوب السجع والفواصل وأنواع الجناس والبديع إلى أسلوب مرسل حر ، لا يضيق

بالمعاني ولا يضيق به القراء..
وعلى الجملة نضجت المقالة وتهذبت عند محمد عبده، إذ صارت الموضوعات فيها ترتب ترتيبا منطقيا وكثر فيها استعمال الأقيسة والبراهين وتغليب الفكرة على شتى وجوهها وقوي أسلوبها فبلغ درجة عظيمة من المثانة ، تجلى كل ذلك في مقالات . الوقائع المصرية » . وإليك مثالا على ذلك من مقالة عنوانها « العدالة والعلم - : هذان الأساسان الجليلان « أعني العدالة والعلم . متلازمان في عالم الوجود ، متى سبق أحدهما إلى بلاد تبعه الآخر على الأثر، ومتى فارق أحد منهما جهة تعلق الثاني بغياره . فلا يكاد يرفع قدمه أو يضعها إلا وصاحبه يرافقه ، بهذا ينبئنا التاريخ وتحدثنا سير الدول التي ارتفع بها مدار العدل أو بزغت فيها شموس العلم كيف تمتعت بالدورين وطارت إلى أوج السعادة بهذين الجناحين ، حتى إذا أنت حوادث الدهر على أحد الأساسين تهدمه سقط الآخر بأسرع وقت وانحطت الدولة المصابة بفقده إلى أسفل الحركات فأغسق جوها بكثيف من الظلمات وغشيت أبصارها حجب من الجهالة .
و سر ذا جلي فإن العلم إذا انتشر في قوم أضاءت لهم السبيل واتضحت المسالك وميزوا الخير من الشر والضار من النافع فرسخ في قلوبهم أن المساواة والعدالة هما العلة الأولى الدوام السعادة فيطلبونها بالنفس والنفس ، وإن الظلم والجور قرينان للخراب والشقاوة . وإذا رسخت قدم العدالة في أمة تمهدت لها طرق الراحة، وعرف كل ما له وما عليه فتلهبت فيهم الأفكار وتلطف الإحساس ، وقويت قلوبهم على جانب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم فيدركون لأول وهلة أن لا دوام إلى ما وصلوا إليه ولا ثبات لما تحصلوا عليه إلا إذا تأيد بينهم شأن المعارف الحقيقية وعمت التربية سائر أفرادهم فيقدمون بكليتهم على الأخذ بالأسباب المؤدية لانتشار العلوم وتعميمها على سائر الأنحاء. .

يتضح في المقالة الأسلوب الواضح والمرسل وتجنب المحسنات البديعية والثراء الفكري والأفكار الاجتماعية والسياسية البناءة ■